ملخّص الرسالة:

طرح العقل البشري على نفسه منذ الأزل قضايا شغلته وفرضت نفسها عليه بالقوة، والتي طالما حيّرته بمظاهرها و أسرارها وأحوالها الغامضة، فحاول التدبر والتفكر فيها لينير جانبا من جوانبها ويسبر غورا من أغوارها، ومن أهم تلكم المواضيع موضوعة الحب: التي تكلمت عنها الأديان السماوية والرسل، وتحدثّ عنها الفلاسفة أمثال: أفلاطون، سقراط، أرسطو وأبيقور.. وغيرهم كثير جدا.

كما تناولها بالبحث و المدارسة: عرب وعجم ويونان وهنود وبوذيون وفرس وروماِن وأمم نعرفها و أخرى لا نعرفها و أدباء وعلماء وشعراء وحتى أئمة وفقهاء الدين والمتصوفة، منهم من أسهب وأطال ومنهم من أجاز وأبدع، ومن العلماء والأدباء والفقهاء الذين خصصوا من الجهد والوقت نجد: الجاحظ، ابن أبي حجلة التلمساني، ابن حزم الأندلسي، إخوان الصفاء المتصوفة، ابن القيم الجوزية ومحمد صديق حسن خان.. وغيرهم كثير، فقد تتبعتها الأحلام والأقلام عبر القرون والأزمان من رجال ونساء.

وقد حظي الحب عبر العصور الإنسانية ببالغ الاهتمام، وبحظه الوافر من التتبع بالقراءة والتداول فيه والتفكير والتأليف في ما يخصه من مظاهره وفي كل المجالات، ومنذ أن بدء الإنسان يتدبّر ويفكر في الكون فكر في الحب، ولذلك وجدناه في مؤلفات ضخمة لا تعد ولا تحصى منها ما نعرفه ومنها ما نجهله، منها ما وقعت يدي البحث عليها ومنها ما استعصى الحصول عليها، أفردت له في بعض الأحيان مؤلفات بكاملها وورد في غيرها في أجزاء معينة وهي أيضا عديدة، أمّا من المؤلفات التي سمعنا عنها ولا يمكن أن تقع في أيدينا هو مؤلف" **كاماسوتراه kamasutra وهو مجموعة حكم عن الحب، كتبها فاتسيايانا باللغة السنسكريتية في القرن الرابع أو الخامس الميلادي، وهي تتضمن تعاليم عن الزواج والعشاق، وعن التقاليد واستخدامات الزمن، وهو كتاب نثري في معظمه**"، كما طرح رولان بارط.

وقد وردت بشكل لا قبيل للشك فيه في شعر الشعراء بعامة والشعر الجاهلي بل والمعلقات بخاصة، فكل من يقرئ الشعر الجاهلي يدرك حب شعرائه الضائع، وقفاتهم على الأطلال واستيقافهم لصحبهم معهم وخلانهم، ويستشعر عذابات فراقهم وهجرانهم، ويلمس بكائهم ويتعرّف على مخاوفهم وآمالهم و آلامهم ومخاوفهم، وميولهم ورغباتهم، وحسناتهم وخطاياهم، ويتيقن بذلك ما دفع بالباحث إلى قراءة هذا الشعر و استنتاج هذا الموضوع منه واستقرائه.

كل هذه العوامل المذكورة بعثت في نفس الباحث المتحدث بذرة من الفضول للتعرف على هذا الموضوع الذي ظن أنه يعرفه أصلا، ولإثراء معارفه بالإطلاع على ما خلفه جزء من التاريخ من خلال أقوال وآراء ومؤلفات بعض هؤلاء الناس الذين مرّ ذكرهم، وغيرهم كثير من القدماء والمعاصرين، فكان موضوع هذه الرسالة موسوما ب:" خطاب الحب في الشعر الجاهلي قراءة سيميائية تأويلية في المعلقات العشر".

موضوعا حاول قدر الإمكان أن لا يخرج عن إطار مشروع الماجستير، وأن يلم ببعض الجوانب الفكرية والمعرفية للمشروع، وهو موضوع بحسب عنوانه ينقسم إلى جزئيتين باعتبار أنّ المرحلة الأولى من العنوان تعدّ عنوانا أساسيا في حين يكون الجزء المكمل له عنوانا فرعيا يحدد المنهج المتبع والمتن المعمول عليه، ولذلك حاولت الدراسة تتبع خطابات الحب في المعلقات بخاصة والتمايز بين خطابات شعرائها، ومن ثم لابد لهذه الآثار من أن تحمل في

طياتها خطاب الحب ولو بشكل من الأشكال، فحقا لا يبدع ما أبدع شعراء الجاهلية من تراث أدبي راقي لو لم يكن محبا عاشقا، هذا عن الجزئية الأولى من عنوان الرسالة.

أمّا الجزء الثاني منه فقد جاء محددا للمتن المعمول عليه والمنهج المتبع في الدراسة، والغرض من وراء ذلك هو تتبع الملامح الحكائية القصصية والسردية والحوارية الخطابية وربما حتى الدرامية، المتعلقة بتيمة الحب وخطابه- في هذا المتن- وكل هذا من منطلق إتباع المنهج السيميائي السردي والتأويلي التداولي، وقد نجح بشكل ما – على الأقل حسبما نرى — حقا في اقتناص هذه الملامح المذكورة من خلال المعلقات.

جاء هذا البحث إثر تساؤلات عدة والتي دفعت به إلى محاولة الغوص في أعماق شعر المعلقات ومن أهمها كان: ما الحب؟ لغة واصطلاحا، وما أهم درجاته؟ وما خطاباته في الشعر الجاهلي؟ وكيف تجلى خطابه في المعلقات؟ من بين الخطابات المغايرة له؟ وما هي تسمياته المتعددة وعلاماته؟ وكيف تمايز شعراء المعلقات فيما بينهم في الطرائق والأساليب والكيفيات؟ ومن خلال محاولة تحديد أهم أطرافه في المعلقات و أهم آفاته وحسناته.

وكذلك من أهم ما يخطر بالبال من أسئلة تخص هذا الموضوع من خلال هذا المتن: فلماذا وقف هؤلاء الرجال على الطلل؟ ولماذا بكوا وتعذبوا وعانوا الأمرين؟ ألطبائعهم المرهفة أم ماذا؟ وهل يتمثل الحب فقط في البكاء والوقوف على الأطلال؟ أم في كل جزئية من عبارة وكلمة من القصيدة؟ وفكرة حتّى؟ ثم ما هي محدداته اللغوية الأسلوبية؟ وما خصائصه السيميائية؟ ولماذا هذه الخلخلة وهذا الضياع لدى أولئك الشعراء؟ وهل الحب هو فقط حب الرجل للمرأة وحب المرأة للرجل؟ أم انه شيء آخر غير ذلك؟ لا بل أشياء كثيرة اكبر من طبيعة رجل امرأة وامرأة رجل؟ يتخطاهما ويتعدى حدودهما الضيقة؟ إلى ما هو أعظم من ذلك؟ ..إلخ من التساؤلات.

بغية هذا البحث هو الممارسة النقدية لا التنظير، بل محاولة التطبيق المباشر إن صح القول على الخطاب الشعري الجاهلي وهذه الممارسة تدخل في إطار النقد السيميائي والتأويلي إلّا أنها لا تستعمل كل الأدوات الإجرائية السيميائية بل البعض منها فقط عل سبيل المغامرة نحو المجهول، وفي هذه المحاولة من القراءة السيميائية —على اعتبار ان التأويلية نرتبطة بها- قراءة تأويلية، ذلك انّ في كل قراءة لأي نص إبداعي كان تأويل له ولو بشكل من الأشكال.

ومن الإجراءات التي استفاد منها البحث في التعامل مع النصوص الشعرية نجد: التشاكل والتباين، الإنزياح والتناص في بعض المقتطعات، النموذج العملي والبرنامج السردي بحالاته ةتحويلاته، والمربع السيميائي، وفي بعض المقطوعات تتبع المسارات الصورية والتجمعات الخطابية وحتى البنية الحرفية وغيرها في بعض المعلقات.

وقد حاول استعمالها في تحاليل المعلقات عبر تقسيمها إلى وحدات كبرى سماها لوحات شعرية و أحيانا مقطوعات، وإلى وحدات صغرى متضمنة فيها ربما سماها مقطوعات جزئية صغرى أو جزئيات صغرى كما ورد في صفحات المذكرة.

أفضت تلكم التساؤلات والإجراءات المرام العمل بها إلى تسطير خطّة تتبعها البحث وعمل بها، فاعتمد على مدخل وأربع فصول: بحث المدخل عن: دوافع الإبداع الإنساني على اعتبار أن الحب من أهم دوافعه تمهيدا لذكر الخطاب وتعريفه الموجز وتحديد عناصره وأساليبه وفي كل هذا تمهيد للحديث عن الحب وخطابه في الفصل الأول، فكان بذلك كل من المدخل والفصل الأوّل في المجال النظري المحض، وذلك بإتباع المنهج التاريخي الوصفي وربّما الإحصائي في جزء من الفصل، أمّا الفصول

الباقية فقد حاولت قدر المستطاع تطبيق المنهج النقدي السيميائي التأويلي على المعلقات المذكورة في محاولة لاستخراج الملامح المذكورة آنفا، لا التنظير لهذين المنهجين المعاصرين.

عنوان الفصل الأوّل: ماهية الحب وخطاباته في الشعر الجاهلي، وهو فصل نظري يحوي ثلاث مباحث: المبحث الأوّل؛ خصص للمفاهيم النظرية كتعريف الحب ورصد أنواعه ودرجاته ومحاولة تصنيف شعراء المعلقات حسب درجاته، المبحث الثاني قد كان إحصاء لأهم المدونات التي تحدثت فقط عن موضوعة الحب، والمبحث الثالث: فبحث عن الشعر الجاهلي في القراءات النقدية المعاصرة من خلال تيمة الحب أو موضوعه وبعض المظاهر المتعلقة بها كالطلل والبكاء، والغزل والنسيب والطيف والمخيال الزائر، وأسس جمال نساء هذا العصر من خلال الشعر وكذلك بعض معاني ودلالات أسماء النساء فيه، واهم الرموز المقدسة التي جعلت أقنعة لأولئك النسوة كالغزالة وكل ما يخصها و الشمس مثلا وغير ذلك...

الفصل الثاني وسم بـــ: قراءة سيميائية تأويلية لمعلقات، امرئ القيس، الاعشى وعنترة بن شداد، وهو فصل تطبيقي مارس الإجراءات المذكورة على معلقات أولئك الشعراء بعد تقسيمها إلى لوحات شعرية كبرى متضمنة لمقطوعات صغرى وبعضها غير مجزأة، على اعتبار أنها قصص وحكايا تحمل بعض أشكال الحب ومتعلقاته.

وكذلك كان الفصل الثالث والرابع: فأولهما وسم بـــ: قراءة في معلّقات الحارث بن حلزة، زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني.

أما ثانيهما فكان عنوانه: قراءة في معلّقات لبيد بن ربيعة، طرفة بن العبد، عمرو بن كلثوم وعبيد بن الابرص، وقد حاول البحث تتويج عمله بخاتمة تحوي أهم النتائج المتحصل عليها.

بذل البحث أقصى ما يملك من الجهد في أن يسلك المنهج العلمي، وأن لا يحيد عنه ما استطاع، لا يحفزه إلّا الموضوع و لم يكن نصب عينيه إلا الغاية التي سيبلغها، بالرغم مما يلقاه الباحث من عناء في البحث، وغيره من العوائق، ومن هنا كان لابد للباحث في هذا المتن وهذا الموضوع من أن يقرئ كل ما تقع عليه عيناه حول الموضوع قراءة متمعنة، وأقول متمعنة، فقد انتفعت في هذا الصدد بما كتبه كل من:

أدونيس في: كلام البدايات، مقدمة للشعر العربي والشعرية العربية، حسن مسكين في: الخطاب الشعري الجاهلي، حنا نصر حتي في مظاهر القوة في الشعر الجاهلي، ريم هلال في حركة النقد العربي الحديث في الشعر الجاهلي، وصلاح عبد الصبور في: قراءة جديدة لشعرنا القديم، وعاطف احمد الدرابسة في قراءة النص الشعري الجاهلي في ضوء نظرية التأويل، وعبد الإله الصائغ في: الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية،عبد الملك مرتاض في: السبع المعلقات .. وغيره، محمد النويهي في: الشعر الجاهلي، محمد مفتاح في سيمياء الشعر القديم، ومصطفى ناصف في: قراءة ثانية لشعرنا القديم، وموسى سامح الربابعة في: قراءة النص الشعري الجاهلي، وهلال جهاد في فلسفة الشعر الجاهلي.. وغيرها من المراجع التي طبقت المناهج النقدية النسقية على الشعر الجاهلي.

وقد استفدت من مجموعة من المصادر والمراجع المهمة للبحث والتي من بينها بعض الدواوين لشعراء المعلقات، شروح المعلقات لكل من الخطيب التبريزي، الزوزني وأحمد الشنقيطي، المفضليات والأصمعيات، بعض المراجع النقدية القديمة مثل الشعر والشعراء، نقد الشعر والعمدة، طبقات فحول الشعراء، وكذلك اعتمد البحث على بعض المدونات القديمة التي تحدثت عن الحب مثل: طوق الحمامة، ديوان الصبابة، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، نشوة السكران في ذكر صهباء الغزلان، و الطب النبوي وكتاب الزهرة لابن داود والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، وغيرها كثير من قديم وحديث نمسك عن ذكرها حتّى لا نطيل الكلام، ومن هؤلاء جميعا انطلقت

في بحثي في حماسة وبصيرة، ثم تأتي بعد ذلك الدراسات النقدية التي أسست للسيميائيات الشعرية العربية والغربية وكلها مذكورة في مكتبة البحث.

وقد خرج البحث بجملة من الاستنتاجات والملاحظات التي من أهمها نجد:

و أولاها أن الشعر هو سرد وحكي بالدرجة الأولى، وهو ليس فقط ذلك الكلام الموزون المقفى، ومن خلال هذه القناعة اعتبرنا كل معلقة حكاية جديدة تحمل بين جنباتها أحداث اولية واعتداءات أو أفعال تمارس عملية الاعتداء بغرض تعريض احد الشخوص لافتقار معين.. ليقوم بعد ذلك بأفعال أو ردود أفعال بهدف تعويض الافتقار، وقد امتلك كل واحد منهم لعوامل مساعدة وعوامل معارضة..وكل ما يوجد في السيميائية السردية بخاصة، وقد قسمنا كل المعلقات- الحكايات- إلى لوحات شعرية عديدة تحمل حكايا ت أو قصص ضمنية متعددة قد تتكامل وتتكاتل فيما بينها أو تتباعد عن بعضها البعض كل البعد.. ولو كانت مرتبطة بشكل من الأشكال..؟

وقد حملت الحكايات خطابات متعددة جلية وظاهرة عناصرها من مرسل باث ومتلقي مستقبل وفاعل وموضوع قيمة ومساعد معارض، وغيرها من عناصر الخطاب المعروفة.

وتوصلنا إلى قناعة مفادها أن كل شعراء المعلقات تحدثوا عن تيمة الحب بطريقة أو بأخرى، وذلك من خلال الوقوف على الطلل والبكاء واستيقاف الصحب، والغزل والنسيب والتشبيب بالمحبوبة، وذكروا أسماء صواحبهم، مع العلم أنهن بقين إلى الآن نقطة استفهام: حول ما إذا كن نساء فعليات تعلق بهن الحدث أم مجرد تقليد وحب إتباعه أو ربما هن رموز وأقنعة لقضايا ومواضيع أخرى؟

أحب أولئك الرجال نساء معيّنات وباحوا بذلك الحب، أحبوا أنفسهم وفخروا بها وأشادوا، أحبوا قبائلهم وصحبهم وبلدانهم وحتى حيواناتهم، أحبوا البطولة والمغامرة والشجاعة والفروسية ومكارم الأخلاق، والاهم من هذا كله أنهم أحبوا الحياة بكل تناقضاتها.

وانتهينا إلى أن الطلل والوقوف عليه للبكاء لم يكن مجرد تقليد واجب إتباعه بغرض لفت انتباه المتلقي، بدليل أنه وجد في بدايات بعض المعلقات وحذف من غيرها أو أخّر وأجّل و لم يركز عليه أحيانا، و أيضا بدليل الفروقات بين من وقفوا عليه..

بدأ امرئ القيس معلقته بالوقوف على الطلل والبكاء وهو الذي سنها سنة، ومع ذلك فهو يبدوا من قصيدته رجلا معجبا بذاته وباقتحامه المخاطر دون حبيبته.. فيطلب فقد لذتها المستعصية ويأتي مآتي لا قبل لسواه بها وتفوقه كتفوق طرفة بن العبد في اقتناص اللذة، بخلاف ما نشهده في شعر عنترة بن شداد وعمرو بن كلثوم حيث يبدو التفوق لديهما في تمجيد قوة الشاعر.

لم يقف الأعشى على الطلل و لم يبك بل بدء بالأمر بتوديع هريرة لتركها ترحل والنهي عن التمسك بها، حينما راح يصف محاسنها الجسدية والنفسية وجمالها الخلاب في عدة أبيات، ثم يذكر كيف انه أحبها في حين لم تحبه بل أحبت غيره الذي بدوره لم يحبها بل أحب غيرها، وكيف أحبت امرأة أخرى الشاعر فاستهزأ بها واستصغرها و لم يحبها، وطفق كل امرئ يتعلق بآخر يهجره ليتعلق بغيره يكون قد هجره أصلا إلى غيره، وكانها سلسلة من علاقات الحب والصدود والهجران، فلم يوجد واحد منهم أحب حبيبا بادله الحب وعاش معه في تناغم ومحبة، ثم تحدث عن كيفية صدها له ولهم ورفضها القاطع ليتحول بعد ذلك للحديث عن أمور أخرى أولاها الحانة وهي عشقه الأول والأهم وأحوالها إلخ..

وأكثر الشعراء تعلقا بالمرأة امرئ القيس، حتى ذكرها في ثلاثة ألوان: متذكرا متأسيا على أيامه الخوالي معها، في جزء من مقدمته الطللية، ومتأملا من خلال ذكرها على أنها مخلوق رقيق يصفه ويستغرق في وصفه، وماجنا حينما جعلها مناط مغامراته التي قد يكون صادقا فيها أو صانعا؟ من يعلم؟ ويأتي بعده الأعشى الذي لم تكن المرأة عنده سوى وسيلة دنيوية- لا غاية سامية في ذاتها- فلم يرضى بالأحادية بل كان يدين بالتعددية النسائية ويبالغ في الطواف بينهن، مستغلا اكثر الفرص في اقتناص اللذة والمتعة والمجون بالإضافة إلى الشرب واللهو.

أما عنترة فقد أحب عبلة وأشار إليها إشارة موجزة و لم يسرف في وصف جماله، لنلفي بذلك أن الوصف الصريح يكثر عند: امرئ القيس أقدم الشعراء والنابغة الذبياني والأعشى ممن خرجوا عن تقاليد حياة البادية.

وزهير لم يكشف عن صورة صاحبته، ووجدنا عنده ظاهرة ملفتة تميز قصيدته تتجسد في ذلك الحضور النسائي القوي الطاغي على الحضور الذكوري الرجالي، بل الذي يلغيه أصلا من الوجود، رغم أن حضور النساء يتطلب بالضرورة حضور الرجال، ولكن عنده كان حضورهن في شكل عامل فعال ينفي ويفني حضورهم، وكأنهن يعشن في علم أسطوري مثالي لا يحتجن فيه لهم، داخل جنة لا يتعبن فيها ولا يخفن، عالم خيالي جزء من النعيم والجنان تعشن فيه برفاهية وكرامة واستمتاع دونما حاجة ولو لرجل واحد.

واستنتجنا عند نهاية تحليل معلقة لبيد بن ربيعة: أن المتكلم فيها حتى لا نقول الشاعر ليس حكيما مثل المتكلم في معلقتي عبيد بن الأبرص وزهير بن أبي سلمى، ولا هو بالعاشق مثل متكلم معلقات: امرئ القيس، عنترة بن شداد، الحارث بن حلزة والأعشى.

نرى من هنا أنّ: امرئ القيس كان العاشق الأوّل للحياة الجامحة وللنساء بامتياز، رغم سمعته التي سبقته إلّا أنّه لم يكن بدرجة غيره من الشعراء والشاعرات، وكان عنترة هو العاشق العفيف الرقيق القلب البطل المغوار والفارس الجبار والإنسان الحليم، وكان الأعشى رجل كل النساء رجلا غير وفيٍ على الإطلاق لامرأة واحدة وهو زير النساء بلا شك.

أما الحارث بن حلزة فهو محب الأخلاق الفاضلة وعاشق السلم وكاره للوشاة والمغرضين، وزهير رجل حكيم محب للحكمة، أمّا النابغة الذبياني فهو نرجسي محب لذاته وقبيلته أيما حب وكذلك كان عمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد، أما لبيد بن ربيعة العامري فكان محبا للسفر والمغامرات أيضا وعاشقا لإنفاق المال حد إفنائه ولشرب الخمر قرّة عينه وعين كل رجل جاهلي، أمّا عبيد بن الأبرص فهو ربما عاشق لكل ما قلناه بل وللحكمة بشكل أكبر، وقد تمايزوا فعلا في درجات حبهم لهته الأمور بعامة وعشقهم لنساء بخاصة، وأوجه الخلاف بينهم كثيرة لا يمكن لنا أن نلخصها في هذا المقام.

واستنتجنا من خلال الاحتكاك بهذا الشعر -ومن الحياة العامة- أن خطاب الحب من أقوى الخطابات الإنسانية، فهو يتواصل عبر الزمن في كل لحظة من لحظات الكون، ويرد في أشكال وصور متعددة، أشكال إبداعية لا نهاية لها، ومن بين أهم هذه الأشكال الشعر أو الخطاب الشعري ولذلك يفترض به وكما قال القائل" ..**أن يحمل رسالة تتكاتف مع عناصر التواصل داخل بنية لغوية تتصل بها على وجه الضرورة بنية إيقاعية في شقيها الداخلي والخارجي، تؤدّي وظيفة شعرية في الخطاب، ويبدو التعالق بين البنيتين لا اختلاف فيه عند النقاد**.."كما هناك - بناءاً على رؤى جيرار جينات ومحمد مفتاح وبشرى البستاني- إمكانية وجود بنية ثالثة تتمثّل في السرد لما يحمله — الشعر هو الذي يحمل- من قصص يقوم الشعراء بقصّها بشكل أدق تعبيراً وأكثر جاذبية ويبرز أركان الفعل

القصصي لينقل القارئ من الشعر إلى النثر ثم يعود به، وهو كما نرى من خلال اطلاعنا على القصائد المعلقات محق تماماً.

يأتي الخطاب الشعري- في أغلب الأحيان- حاملاً لخطاب الحب من بين خطابات أخرى متعددة، فالشعر الجاهلي مثلاً ومعلقاته الشهيرة بخاصة لا تبدأ إلّا بالبكاء على الطلل، على الفراق والبين، وعلى الزمن الجميل الضائع زمن الوصل واللذة والسرور، بكاء على الحب المفقود في غياهب الحرمان، فلماذا كل هذا البكاء؟ إن لم يكن عن حب متأجج فعل فيه الدهر ما فعل، وخلّف أصحابه في ألم وحرمان.

يتّضح من هنا أن الحب هوّ دافع من دوافع الإبداع، وهو في ذات الآن خطاب إبداعي وإبداع خطابي من خلال الإبداع الأدبي، الفنّي بعامة ومن خلال الشعر الجاهلي والمعلقات بخاصة، والحب أيضا شعور وحالة إنسانية، وغير إنسانية أحيانا فتكون طبيعية كونية ربّما، وكلّنا نعرف ما شعور الحب دونما استثناء لأننا كلّنا أحببنا ونحب الله ورسله، نحب: أمهاتنا، آباءنا، أبنائنا و إخواننا، أهلنا، أقاربنا وأصحابنا، نحب الحياة وما فيها من متع وخيرات، نحب الحيوان وغيره من المخلوقات والأشياء، ففي النهاية يتملّكنا شعور الحب اتجاه أي شخص أو موضوع أو شيء معيّن، ويستحيل أن يخلوا امرئ ما من الحب كما لا يمكنه أن يستغني عن الكره ويخلوا منه ومن الكراهية، باعتبار أنّها كلّها مشاعر وفطرة بشرية طبيعية جبل عليها الإنسان بخاصة وباقي المخلوقات بعامة، إن صحّ التعبير، لأن هته المشاعر قد لا تكون حكرا على الإنسان فحسب لتتجاوزه إلى باقي المخلوقات والأشياء الكونية والحيوانية حتّى، وكلّنا إن لم نعرف حالة حب مميزة فسنعرفها يوماً ما..

واقتنعنا بذلك أنّ: سر الوجود الحب فالبارئ خلقه بحب وعن حب وللحب، بكل خيراته ونعمه الطيب ـــة، وكل ذلك فقط ليسخر الراحة والأمان والرفاهية والاطمئنان لذلك المخلوق الذي صوره فأحسن تصويره وكرّمه على باقي مخلوقاته، والذي يعرف على أنه الإنسان فأخرجه من لا شيء وبنا له جسمه فأكسبه بعض القوة، وقوّاه بعقله وحكمته ووهبه ما لم يقدر على وهب نفسه إياها..وما كل هذا إلاّ حب عظيم، ثم أرشده سبيله ويسّر له طرق النجاح في الدارين، وهو حب من نوع آخر، فأخطأ وحاد عن الطريق ثم تاب فغفر له، وهذا حب من نوع ثالث، والذي لم يتب له أمل ذلك وأمل الغفران، وفي هذا الحب الأعظم.

وأحب كلّ عباده وجعل الحب بينهم وحببه إليهم، ثم جعل الكره في الصورة ليوازن الكون وفي ذلك حب أيضا، حتى أنه أمات مخلوقاته وعباده كلّ بأوانه وهو نوع جديد من الحب، فيمكن للمرء أن يستقرئ الحب في كلّ مظهر من مظاهر الكون والوجود وحتّى العدم، فالحب لذة وألم، وهو هفوة وندم، كما أنه صحة وسقم، والحب هو؛ قرآن، إنجيل، توراة وزابور وصحف، وملائكة ورسل، الحب هو الله، فـــ: **"بالمحبة وللمحبة وجدت الأرض والسموات، وعليها فطرت المخلوقات، ولها تحرّكت الأفلاك الدائرات، وبها وصلت الحركات إلى غاياتها، واتصلت بداياتها بنهاياتها، وبها ظفرت النفوس بمطالبها وحصلت على نيل مآربها، وتخلّصت من معاطبها، واتخذت إلى ربّها سبيلاً، وكان لها دون غير مأمولاً وسولاً، و بها نالت الحياة الطيبة، وذاقت طعم الإيمان لّما رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ صلّى الله عليه وسلّم رسولاً"**

إذا كان كل ما تقدم في وجوده ودوامه وتسلسله وتواصله من كون ووجود وخلق وعباد سره: الحب، في أصله ومنبعه، فما السر من خلود الحب؟

يكمن الحب في كلّ شيء إلاّ أنه لا يبدو جليا للعيان، فهو يأتي ويذهب ويحيا ويموت ثمّ ينهض من رماده أو لا يفعل، والكل يعرفه ويختبره في العاجل أم في الآجل، وبطريقة أو أخرى، ولكن ليس كلّ من أحب عرف ولا

كُلُّ حبٍّ خُلِّدَ، وما خلّد الحب عبر الأزمان قوّته وفرادته، قصصه ووقائعه، آلامه وآماله، أحزانه وأفراحه، التي مرّت برموزه و أهله من المحبّين والعشاق، و لم يكن ذلك ليحدث لولا من تحدّثوا عنه، أرّخوا له ورصدوه في أسمى وأرقى صوره من خــلال لحظــات الــتأمل الشــارد، فمن منّا لم يسمع بـــ: **آدم وحوّاء، قيـــس وليلى، عنترة وعبـــلة، روميو وجولييت، تريستان وإيزولد، أنطونيوا وكليوباترا، شمشون ودليلة، كيشوت ودولسينا،** ومن الشعراء المجانين: **عروة وعفراء، جميل بثينة، كثير عزة، قيس لبنى.** .وغيرهم كثير من عرب وعجم، أليس غريبا ذلك الابتداء الدائم باسم الرجل العاشق وتأخير المرأة؟ فما السرّ في هذا التقديم والتأخير؟

خلد الحب في الواقع والخيال، في الروايات والأخبار، في الأمثال والحكم والمسرحيات، في القصص والأشعار، وذلك راجع لكل ذلك التغني به من قبل الشعراء والمفكرين والأدباء عبر العصور، وبالحب تحققت الانتصارات عبر التاريخ وعن طريقه، فتغنّى هوميروس بحب **باريس لهلينا الإلياذة**، ودانتي بحب **بياتريس**، وشكسبير بحب كل من: **عطيل لديدمونة**، وبين روميو وجولييت، وجيت تغنّى بحب **فاوست لمرجريت**، وتولستوي بحب **آندروا لنتاشا**، هذا عن أهم العشاق في التراث الغربي.

أمّا في التراث العربي فقد ذكرنا بعضهم فيما سبق إضافة إلى كل من؛ **العرجي، مجنون بني عامر، بشّر وأبي العتاهية و أبي دهبل، جميل بثينة، والعبّس بن الأحنف، امرئ القيس، قيس بن ذريح، عمر بن أبي ربيعة، وتوبة الحمير، عبد الصمد بن المعذل، ديك الجن والخنساء، عروة بن أذينة.. وغيرهم من المغنين؛ معبد وسريح والغريض**، ومن القيان: **جميلة** أستاذة **معبد وابن عائشة، حبابة وسلامة وفريدة، ذات الخال، فوز وعزة الميلاء، رملة ودنانير** وغيرهن من صاحبات القصص والمغامرات مع الشعراء وغيرهم، ومن الخلفاء المهذبين والمهديين والأئمة الراشدين كثير كما قال ابن حزم فمنهم من الأندلس نجد: **عبد الرحمان بن معاوية والدعجاء، الحكم بن هشام، عبد الرحمان بن الحكم** وشغفه بـــ**طروب أم عبد الله** ابنه أشهر من شمس، و**محمد بن عبد الرحمن** وأمره مع **غزلان أم بنيه عثمان والقاسم والمطرف** معلوم كما يقول- ابن حزم- و**الحكم المستنصر** وافتتانه بـــ: **صبح أم هاشم المؤيد بالله**، و**المظفر عبد الملك بن أبي عامر** بـــ: **واحد بنت رجل من الجبائين** حتّى حمله حبّه أن يتزوّجها، وغيرهم كثير من صالحين وفقهاء وشعراء مجانين ما لا يعد.